دلالة المقطع الصّوتيّ في الخطاب القرآنيّ

رشيدة بودالية*

الملخّص

يعتبر القرآن الكريم مجالا ثريّا لمعرفة مختلف الظّواهر الصّوتيّة الّتي يحملها، ومنها الظّواهر فوق مقطعيّة من نبر وتنغيم ووقف ومفصل، وبمعرفتها يُعْرَفُ الاتّجاه الّذي يأخذه الخطاب القرآنيّ؛ إذ قد تكون هناك وظائف متعدّدة للخطاب الواحد؛ ذلك أنّ كلّ تركيب يصل إلى مستقبل بمفهوم معيّن، ويصل إلى مستقبل آخر بمفهوم آخر، وهو ما نراه في اختلاف المفسّرين في تفسير الآية الواحدة، ومن بين الأسباب المؤدّية إلى هذا الاختلاف هو كيفيّة تلقّي المفسّر للآية، وتفسيره - في أحيان كثيرة - يكون مبنيا على أساس ما سمعه.

الكلمات المفتاحيّة:

المقطع – الدّلالة – الظّواهر فوق مقطعيّة.

تمهيد

الظّواهر فوق المقطعيّة «إجراءات صوتيّة تخدم التّركيب والدّلالة خدمة فعّالة،»[1] وهذا التّنوّع الصّوتيّ في القرآن الكريم بشتى صوره، وتعدّد أشكاله، جعله يتّسم بنظام صوتيّ معجز؛ له دلالاته الصّوتيّة المسترعية للأسماع، المستهوية للنّفوس، المبهرة للألباب، المستولية على الأحاسيس والمشاعر بطريقة عجيبة تفوق كلّ كلام منثور أو منظوم، تتمثّل الظّواهر فوق مقطعيّة في: المقطع – النّبر – التّنغيم - المفصل

- **مفهوم المقطع Syllabe**

نعني بالمقطع الأصوات اللّغويّة عندما «ينطقها الإنسان تخرج مجموعات مجموعات، كلّ مجموعة تسمّى مقطعا،»[2] قد يكون هذا المقطع صوتين اِثنين أو أكثر. والمقاطع في تشكّلها تكوّن بناءً مقطعيّا ومعناه -أيّ البناء المقطعيّ- «أن يتكوّن النّصّ من مجموعة من المقاطع، يشكّل كلّ مقطع وحدة؛ لها كيانها الخاصّ، ويرتبط كلّ مقطع بالآخر ارتباطا

---

* أستاذ محاضر ب، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة.

(1)- أدوات الوصف والتّفسير اللّسانيّة، عبد العزيز العماريّ، دار النّشر: المغرب، ط1، 2004م.ص: 180.

(2)-المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة، د. عبد العزيز الصّيغ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ – 2000م، ص: 274.

وثيقا؛ ليكوّن بناءً متكاملا من النّواحي العضويّة والمنطقيّة والنّفسيّة، وبه تتشكّل الصّورة الكلّيّة.»[1] ومن خلال هذه المفاهيم نلاحظ اتّحاد المعنى اللّغويّ بالمعنى الاصطلاحيّ؛ فالمقطع القرآنيّ - مثلا - يتكوّن من مجموعة من الآيات الكريمات؛ يوقف عليها بانتهاء معنى، وتتوالى المقاطع وتتّحد في الآيات الكريمات؛ لتكوين فكرة عامّة للخطاب القرآنيّ؛ لأنّ كلّ مقطع له معنى جزئيّاً يحمله، وتتابعُ المقاطع وتواليها الواحدة بعد الأخرى؛ يؤدّي إلى وجود فكرة رئيسيّة واحدة.

يمثّل المقطع أحد ظواهر الكلام، وتنوّعا للظّواهر فوق مقطعيّة، وهو عبارة عن «تتابع الفونيمات في لغة ما للبنيّة المقطعيّة، ويرى علماء اللّغة والأصوات أنّ ماهيّة المقطع وتعريفه تحدّد في اِتّجاهين، اِتّجاه صوتيّ، أو فونتيكيّ، واتّجاه فونولوجيّ،»[2] ومعناه أنّ تعريف المقطع يتعدّد بتعدّد اِتّجاهاته.

- **أشكال المقطع في اللّغة العربيّة**

تعرف العربيّة أربعة أنواع من المقاطع من حيث الكمّ، على خلاف إبراهيم أنيس الّذي يقرّ بوجود خمسة أنواع من المقاطع، وهناك من أضاف النّوع السّادس؛ وتتمثّل في المقطع القصير (صامت +حركة قصيرة)، مثل: الفعل كَ/ تَ/ بَ/. والمقطع المتوسّط المفتوح (صامت + حركة طويلة) ويمكن التّمثيل له بالكلمات: /مَا/ - / فِي/ - / ذُو/. والمقطع المتوسّط المغلق (صامت + حركة قصيرة + صامت)، مثل: /قَدْ/ - /مِنْ/ - /خُذْ/. يطلق هذا المصطلح على الحركة الّتي يمتدّ فيها إخراج النّفس امتدادا؛ يصير معه مدى النّطق بحركتين بسيطتين أو قصيرتين، وقد يتعدّى ذلك[3]. والمقطع الطّويلة المفرد الإغلاق (صامت + حركة طويلة + صامت)، ويمثّله المقطع /ضَالِ/ من «ضالِين»، ومثله المقطع / مِينْ/ من «المسلمين» وذلك في الوقف، أيّ في حالة النّطق بها ساكنة. والمقطع الطّويل المزدوج الإغلاق (صامت + حركة قصيرة + صامتين)، ومن أمثلته كلمة / بِنْتْ / عند النّطق

(1)- عناصر الإبداع الفنيّ في شعر أحمد مطر، كمال أحمد غنيم، مكتبة مدبوليّ، القاهرة، ط1، 1998م، ص: 227.

(2)- ينظر: الكلمة - دراسة لغويّة ومعجميّة- د. حلميّ خليل، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، ط1، 1998م، ص: 31، و40.

(3)- ينظر:دروس في علم الأصوات، جان كانتينو، ترجمة: د. صالح القرماديّ، مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس، د ط، 1966م، ص: 145.

بها ساكنة عند الوقف. والمقطع المديد (أو المقطع البالغ الطّول)، لا يكون إلاّ وقفا، (صامت +حركة طويلة + صامت طويل)، نحو /سَارْ/ - /حَارْ/ على وقف.

خصائص المقاطع في اللّغة العربيّة والقرآن الكريم

لا تتكوّن اللّغة أصوات مفردة فقط؛ بل تتكوّن من دفعات هوائيّة أكبر من ذلك، يطلق عليها اسم المقاطع الصّوتيّة، وهي تمثّل حقيقة اللّغة المتكوّنة من سلاسل متتابعة من هذه الأصوات أيّ مقاطع صوتيّة متتالية، ومن خلال دراسة قام بها عصام أبو سليم، رأى أنّ المقطع «ص ح» والّذي يتألّف من (صامت + حركة)؛ هو أكثر المقاطع تكرارا في الأنماط المقطعيّة في اللّغة. أظهر صاحب البحث من خلال إحصائيّات أجراها؛ أنّ المقطع القصير هو من أكثر المقاطع تكرارا في السّور القرآنيّة الطّويلة خاصّة، ويرجع السّبب إلى:

أوّلا: إنّ القرآن الكريم جاء في سوره وآياته ليتوافّق مع لغة العرب ولسانهم، ونظام اللّغة العربيّة، وبذلك لا يشعر القارئ بأيّة صعوبة عند تلاوته.

ثانيا: إنّ خفّة ورشاقة هذا المقطع وسرعة حركته، وتمتّعه بحريّة الانتقال من مكان لآخر في الكلام العربيّ، واللّفظ القرآنيّ بشكل خاصّ؛ جعله المحرّك الأساسيّ لضبط الإيقاع الصّوتيّ من خلال هذه الحريّة بتكراره على مدار الآيات - في السّور الطّوال خاصّة - وكلماتها جميعها، هذا على الرّغم من كون الآيات تنتقل من نقطة إلى أخرى بحركة سريعة خفيفة، وبالتّالي فإنّ السّمات والخصائص الصّوتيّة هذه أهّلته ليكون المقطع الأساسيّ، والرّابط الصّوتيّ القادر على ضبط الإيقاع الموسيقيّ والصّوتيّ للسّور من بدايتها إلى نهايّتها[1].

ثالثا: شيوع المقطع القصير عن غيره من المقاطع العربيّة يعود أيضا إلى كونه أسهل نطقا، وأجمل موسيقيّة، وحتّى الشّعراء العرب قديما كانوا يبنون عليه أشعارهم[2]، «وكثيرا ما يلجأ الشّعراء إلى استعمال مقطع قصير مكان مقطع متوسّط، وقد يدعوهم إلى هذا، أو يلجئهم إليه كلمات اللّغة الّتي لا تسعفهم في كلّ حال، والّتي تقيّد الشّعر بنسجها.»[3]

---

(1)- الأنماط المقطعيّة في اللّغة العربيّة -دراسة كميّة- عصام أبو سليم، المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، الصّادرة عن مجلس النّشر العلميّ، الكويت، المجلّد 09، العدد 36، يناير 1989م، ص: 194.

(2)- ينظر: الأصوات اللّغويّة، د. إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت، ص: 93.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

إذا انتهى كلّ مقطع من هذه المقاطع بحركة فهو مقطع مفتوح، وإذا انتهى بصامت فهو مقطع مغلق؛ فالمقاطع العربيّة –إذن- إمّا مفتوحة وإمّا مغلقة، وهي ليست متساوية من حيث شيوعُها في الكلام، وكثرةُ استعمالها، فالمقاطع القصيرة من نوع «ص ح» أكثر الأشكال المقطعيّة شيوعا في العربيّة، يليه المقطعان المتوسّطان «ص ح ح»، و«ص ح ص» فهذه الأشكال المقطعيّة الثّلاثة هي الّتي تكوّن الكثرة الغالبة من الكلام العربيّ[1].

أمّا المقاطع الطّويلة والمديدة فهي نادرة، قليلة الشّيوع في الكلام، وورودها في العربيّة مقيّد في أغلب الأحيان بحالة الوقف، وبخاصّة المقطعان «ص ح ص ص» و «ص ح ح ص ص»؛ فإنّ العربيّة لا تسمح بهما إلاّ في حالة الوقف فقط، أمّا المقطع الطّويل المفرد الإغلاق «ص ح ح ص» فإنّه يأتي في الكلام[2]، وممكن بشروط حدّدها النّحاة.

أمّا فيما يخصّ القرآن الكريم فإنّ الظّاهرة تدخل في باب الإعجاز، فالتّأليف في كلام الله تعالى فيه من الجودة ما أوقف العرب؛ وهم أصحاب بلاغة وفصاحة في حالة من الحيرة والاندهاش والعجز؛ لما احتواه من اختيار في الأصوات، وما تحمله من صفات ومخارج مناسبة في موضعها، ومن انتقاء للألفاظ، وما تحمله من دلالة مؤدّية للرّسالة السّماويّة، ومن تركيب وما يحمله من انسجام لتبليغ الشّرائع والأحكام، ومن موسيقى وما تحمله من تأثير على النّفس البشريّة، وكلّ ذلك سواء عند تلقّيه أو دراسته؛ يُظْهِرُ إعجازا ليدلّ دلالة يقينيّة أنّه وحي من السّماء، وأنّه منزّه على أن يكون كلام بشر.

البنيّة المقطعيّة في القرآن الكريم

نزل القرآن بلغة العرب ووفق أساليبهم وعلى طريقتهم في التّعبير عن أغراضهم ومقاصدهم، ونزل لقوم برعوا في البيان، فقد جاء يتحدّاهم في فصاحتهم وبلاغتهم؛ فانفرد بخصائص كثيرة جعلته يفوق الأساليب الأخرى سموّا وتفرّدا وفصاحة وبلاغة وبيانا، والتّحليل الصّوتيّ المقطعيّ هو تحدّ آخر أعجز العلماء، ووقف الإنسان أمامه مندهشا، لما فيه من انسجام الخطاب الصّوتيّ والموسيقيّ بين عباراته وحروفه ومقاطعه، وإسهامه في تحقيق الغرضين الدّينيّ والفنيّ فيه.

---

(1)- موسيقى الشّعر العربيّ، د. إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط4، 1976م، ص: 157.

(2)- ينظر: أثر القوانين الصّوتيّة في بناء الكلمة العربيّة، د. فوزيّ الشّايب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1425هـ- 2004م، ص: 100.

ولقد تمكّن علماء التّجويد عندما درسوا الأصوات من خلال اتّباع منهج شامل للمباحث الصّوتيّة من ربط العلاقة بين علم التّجويد بعلم اللّغة وعلم الأصوات، وقد شمل منهجهم أمورا عدّة منها:

«- معرفة مخارج الحروف.

- معرفة صفات الحروف.

- معرفة ما يتجدّد لها بسبب التّركيب من الأحكام.

- رياضة اللّسان بذلك وكثرة التّكرار.»[1]

يدعو الكثير من الغيورين على الوضع الّذي وصل إليه الفرد المسلم من نفور مَرَضِيٍّ من القراءة القرآنيّة السّليمة؛ إلى ضرورة تدخّل علماء اللّغة للتّعجيل بالحلول لإنقاذ الموقف، ومعالجة الدّاء الّذي استفحل في جسم الأمّة العربيّة والإسلاميّة، وذلك بوضع أسس لغويّة يمكن أن تبسّط القراءة، وتحسّن التّلاوة بصورة صحيحة، من خلال إمكانيّة تفادي الفرق بين ما تعلّمه الفرد من قواعد الإملاء في المدرسة، وبين ما لم يتعلّمه أو يعرفه عن الرّسم العثمانيّ المكتوب به المصحف الشّريف[2]، بحيث تكون عمليّة وسط بين قواعد الإملاء الحديث والرّسم العثمانيّ؛ بكلّ ما فيه من علامات وإشارات للوقف والوصل والفصل وغير ذلك.

يمكن اتّباع طريقة جدّ مبسّطة لتحسين عمليّة التّلاوة للقرآن الكريم في عصر امتلأ بالمتناقضات؛ عصر التّقدّم وعصر الماديّة الّتي شغلت عقول المسلمين في شتى أصقاع الأرض، وتحقيق هذا الهدف النّبيل يكون بمراعاة استخدام النّظام المقطعيّ في التّلاوة.

هناك الكثير من الاختلافات بين الرّسم العثمانيّ -أيّ الخطّ الّذي كتب به القرآن الكريم- وقواعد الإملاء المتداولة؛ ممّا جعل الكثير من المتعلّمين الّذين لم يتعلّموا قواعد

---

(1)- الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد، د. غانم قدّوريّ الحمد، دار عمّار، عمّان، ط1، 1434هـ - 2003م، ص: 57 وما بعدها.

(2)- يرى بعض العلماء أنّ رسم المصاحف اصطلاح واجتهاد من الصّحابة-رضي الله عنهم- لذا لا بدّ من التّيسير على العامّة ولا سيما النّاشئة في قراءة القرآن الكريم، ورفع الحرج عنهم؛ فالرّسم العثمانيّ قد يوقع النّاس في الخلط والالتباس، فتشقّ عليهم القراءة الصّحيحة؛ ففي رسم القرآن أثناء التّعلّم برسم الإملاء الحديث تسهيل عليهم. - ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزّرقانيّ، المطبعة الفنّيّة، القاهرة، د ط، د ت، ج 01، ص: 177.

التّرتيل - مهما كان نوع درجة علمهم- لا يستطيعون القراءة في كتاب الله العزيز بصورة صحيحة؛ لأنّ الرّسم العثمانيّ فيه اختلافات عن قواعد الإملاء الحديث، ومن هذه الاختلافات: ألف المدّ، حذف حروف وزيادة حروف، مواضع الوقف والوصل والفصل، الهمزة.

إنّ تعليم المتعلّمين في المدارس أو النّاطقين بغير العربيّة الكتابة المقطعيّة الصّوتيّة بحسب قواعد التّرتيل السّليم؛ بات أمرا ضروريّا، ثمّ وضع رمز لكلّ مقطع حسب نوعه؛ ممّا يؤّدي إلى تحقيق أهداف نبيلة أهمّها[1]:

- معرفة النّسيج المقطعيّ للسّور القرآنيّة، والكتابة الصّوتيّة تشبه إلى حدّ كبير ما يعرف في علم العروض بالكتابة العروضيّة؛ إذ نرى أنّ الكتابة المقطعيّة الصّوتيّة لا تختلف عن الكتابة العروضيّة، فالكتابة المقطعيّة الصّوتيّة تتّبع ما يلفظ بشكل سليم.
- مراعاة علامات الوقف والوصل والابتداء في القرآن الكريم، والكتابة العروضيّة والكتابة المقطعيّة أختان لفكرة واحدة، وهي الكتابة بحسب اللّفظ.
- إعادة الاعتبار للقراءة القرآنيّة الصّحيحة والسّليمة سواء عند المتعلّمين المبتدئين النّاطقين باللّغة العربيّة أو غير النّاطقين بها.

الهدف من تعليم الكتابة المقطعيّة في القرآن الكريم

أوّلا: تحسين تلاوة القرآن الكريم بالنّسبة للمبتدئين والمتعلّمين وغير النّاطقين باللّغة العربيّة، وكذلك غير العارفين بقواعد التّرتيل بمجرّد النّظر إلى كيفيّة تقطيع الكلمة إلى مقاطع صوتيّة، وذلك بحسب قراءة المقرئين المعتمدة بواسطة التّسجيلات.

ثانيا: معرفة النّسيج المقطعيّ والبنيّة الصّوتيّة؛ الّتي بنيت عليها السّور القرآنيّة للوقوف على جماليّات التّشكيل الصّوتيّ للخطاب القرآنيّ.

إنّ مراعاة نظام المقاطع في القرآن الكريم اصطلح عليه علماء البيان بالتّناسب؛ أيّ: التّناسب بين المعاني وترتيب المقاطع؛ بحيث يؤدّي «ترتيب المقاطع وتوزيعها في نظم الآيات، وظيفة جماليّة ودلاليّة في آن واحد؛ إذ يسهم من جهة في جعل الصّورة السّمعيّة لها متناسبة الأجزاء، معتدلة التّركيب، ويسهم من جهة ثانية مع العناصر الدّلاليّة الأخرى في

(1)- ينظر: كيف تجوّد القرآن العظيم، أوضح البيان في أحكام تلاوة القرآن، أ. محمّد محمود عبد الله، النّاشر: مكتبة القدسيّ للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ – 1996م، ص: 49.

التّعبير عن معاني الآيات، وإيضاح ما يكتنفها من الدّقائق الدّلاليّة، وذلك باختيار ما يناسب المعنى من أنواع تلك المقاطع.»[1] إذن فترتيب المقاطع وتوزيعها هو موافق للمعنى، وهو ما راعاه القرآن الكريم في توظيف المقاطع الصّوتيّة وتنويعها.

الكتابة المقطعيّة

بما أنّ الرّسم العثمانيّ الذّي كتب به القرآن الكريم لا مجال البتّة التّغيير فيه؛ لأنّه يمثّل قاعدة غير قابلة للتّبديل؛ وضعها العلماء المسلمون الأوائل، فإنّه يجب الالتزام بطريقة الأداء الّتي ورثوها عن المعلّم الأوّل؛ كما أقرأه عليه جبريل -عليه السّلام- لهذا على المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ضرورة الالتزام التّام بالرّسم العثمانيّ، على الرّغم من الاختلاف الموجود بين النّصّ القرآنيّ والكتابة العربيّة الّتي تعوّد النّاس عليها؛ ويبقى المصحف الشّريف ينسخ بها ويطبع، مهما اشتكى البعض من صعوبة القراءة فيه، وإنّما هناك سبل للتّعرّف على رسمه باتّباع طريقة التّدرّج في تعلّمها وحفظها[2].

الثّابت للجميع أنّ هناك اختلافات بيّنة بين الكتابة العثمانيّة والكتابة الإملائيّة؛ بحيث يحتوي الرّسم العثمانيّ على علامات للوقف والتّلاوة والتّجويد الصّحيحة، والّتي يمكن استغلالها في الكتابة المقطعيّة، كما يمكن أن تسهّل عمليّة فهم الكتابة الواردة في النّصّ القرآنيّ، وتقوم الكتابة المقطعيّة على قواعد التّلاوة والتّجويد؛ الّتي وضعها الفقهاء والعلماء بتفكيك رموز الكتابة بالرّسم العثمانيّ؛ دون أن يشعر القارئ بحذف الحرف، أو إضافته، أو إدغامه، أو قلبه، أو غير ذلك من العلامات الّتي تميّزت بها الكتابة العربيّة للقرآن الكريم؛ والّتي لا تستعمل في أيّ كتابة عربيّة كالشّعر والنّثر. وللوصول إلى الكتابة المقطعيّة المتوافقة مع الكتابة بالرّسم العثمانيّ لا بدّ من مراعاة جملة من القواعد منها[3]:

---

(1)- التّناسب البيانيّ في القرآن، دراسة في النّظم المعنويّ والصّوتيّ، د. أحمد أبو زيد، الطّبع: مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، د ط، 1992م، ص: 321.

(2)- تحسين كتابة المصاحف، تمثّل خطوة مبدئيّة لتسهيل قراءة القرآن الكريم، وحفظه من طرف المتعلّمين المبتدئين من النّاطقين بالعربيّة وغير النّاطقين بها، ثمّ بعد ذلك لا بدّ من تعلّم ما يوافق الرّسم العثمانيّ قراءة وكتابة؛ عندما يتمكّنون من نطق اللّغة العربيّة نطقا سليما صحيحا، والهدف من ذلك كلّه التّرغيب في حبّ اللّغة العربيّة، وتفادي ما يجعلهم ينفرون من تعلّمها وإتقانها.

(3)- ينظر: أساليب تدريس اللّغة العربيّة بين المهارة والصّعوبة، د. فهد خليل زايد، دار اليازوريّ العلميّة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، د ط، 2006م، ص: 98.

- الاعتماد على ما ينطق أي على الصّوت، وليس على الكتابة الخطيّة في عمليّة التّقطيع.
- تفكيك الحرف المشدّد إلى حرفين الأوّل ساكن، والثّاني متحرّك.
- تثبيت الحروف الّتي تحذف من الكتابة[1]، وتنطق عند القراءة مثل الألف في اسم الإشارة.
- الاهتمام بآل الشّمسيّة وآل القمريّة من حيث الإثبات أو الحذف.
- تجزئة التّنوين بحيث يتمّ وضع نون ساكنة أثناء وصل القراءة، بينما في الوقف يتمّ وضع ألف.
- كتابة همزة المدّ في « □ » تختلف عن الكتابة الإملائيّة «آمنوا».
- هناك كلمات لها شكل خاصّ في النّصّ القرآنيّ، مثل كلمة: « ﷺ » يتمّ تحويلها إلى الكتابة العربيّة المتداولة اليوم «اَ رْ رِ بَا»[2].

تعتمد الكتابة المقطعيّة – إذن - على الصّوت أيّ على ما ينطق، وليس على ما يكتب في آيات التّنزيل الحكيم من خلال تتبّع قراءة المجوّدين والمقرئين، وأن يكون للمتعلّم مهارة في السّمع ليتمكّن من تتبّعها بشكل جيّد وصحيح؛ لأنّها قراءات تتميّز بالدّقة أثناء التّلاوة.

تجلّيات المقطع ودلالته في الخطاب القرآنيّ

إنّ دراسة المقطع بأشكاله؛ تكون ذات فائدة في مجال التّعليم أثناء القراءة خاصّة؛ فهي عمليّة جدّ فعّالة في معرفة المعنى الّذي تحمله المقاطع بأنواعها وبالذّات أثناء قراءة القرآن

---

(1)- تحذف الألف من بعض الكلمات القرآنيّة في الرّسم؛ لتوحي بوحدة الشّيء، أو قرب أجزائه، أو سرعته أو التصاقه، وتوحي بصفة التّمكين والاستمراريّة في الزّمان والمكان، والرّبط والالتصاق، وتوحي كذلك بقلّة الشّأن في بعض الأحيان، وهذه المعاني كلّها يحدّدها السّياق. - ينظر: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة، محمّد شملول، تقديم: د. عليّ جمعة محمّد، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، ط1، 1427هـ – 2006م، ص: 64.

(2)- وردت كلمة «الرّبوا» على هذا الشّكل في القرآن الكريم ثماني مرّات زائدة بحرف الواو، ووردت «ربا» مرّة واحدة بالشّكل الإملائيّ المتعارف عليه، وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ . الرّوم: ٣٩. وقد جاءت كلمة « بـ » بهذا الشّكل لتلفت النّظر إلى خطورة استخدام الرّبا في معاملات النّاس. ينظر تفصيل مثل هذه الكلمات في كتاب إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة، محمّد شملول، ص: 151 وما بعدها.

الكريم، لهذا يرى الكثير من علماء اللّسانيّات التّطبيقيّة لو تؤخذ هذه الطّريقة بعين الاعتبار في تعليم المتعلّمين القراءة القرآنيّة السّليمة، والمؤدّية إلى الوقوف على دلالة الكلمة القرآنيّة من خلال معرفة مقاطعها، وما تحمله من معنى؛ فمن المقطع البسيط – مثلا – «يمكن أن نجد كلمات لغويّة ذات معنى أو ذات وظيفة ومعنى؛ ومن ذلك حروف الجرّ (...) كلّها ذات وظائف تؤدّيها في الجملة (...)، وهي ذات أهميّة في تكوين الجملة العربيّة، أو في تأليف الكلام العربيّ.»[1] فكلمة مثل: «كَتَبَ» مكوّنة من ثلاثة مقاطع بسيطة: / ص ح / ص ح / ص ح / تعلّم القراءة الأولى؛ لهذا فإنّ المقطع يفيد في عمليّة التّعليم.

لمّا كانت الكلمات تتكوّن من مقاطع متتابعة، ولكلّ مقطع سماته الصّوتيّة المميّزة؛ فإنّ ترتيب هذه المقاطع في الكلمات وتواليها على نسق معيّن، له أثر كبير في إحداث أنواع من الموسيقى الدّاخليّة المنبعثة من إيقاع المقاطع ونغمها، «واللّغة الّتي تقوم على مبدأ المقاطع الممدودة والمقصورة لغة إيقاعيّة أكثر كالعربيّة (...)، وذلك لأنّ المقاطع الصّوتيّة ذات وزن مختلف؛ يتراوح بين الثّقل والخفّة، فإذا تناسب الثّقل والخفّة؛ اندرج الإيقاع اللّذيذ فيها بيسر؛ لأنّه يجد الظّروف الملائمة لانبعاثه؛ فيضفي على العبارة مزيدا من الحسن.»[2] ويزداد التّعبير قدرة على التّأثير عندما تتناسب نغمات المقاطع، وإيقاعاتها مع الأفكار الّتي تعبّر عنها وتصوّرها، «فالمقاطع المقفلة تستغرق في نطقها زمنا أطول من الزّمن الّذي تستغرقه المقاطع المفتوحة، وتلائم مواقف الحزم والجزم والقوّة؛ أكثر من المقاطع المفتوحة، ولذلك كان استخدام المقاطع المقفلة؛ يناسب لونا من التّعبير لا تؤدّيه المقاطع المفتوحة، وكذلك فإنّ المقاطع المفتوحة؛ تناسب لونا آخر من التّعبير لا يتأتى مع المقاطع المقفلة.»[3] ويستخدم القرآن الكريم المقاطع الصّوتيّة بشكل يلائم المعاني؛ والّذي يمثّل لونا من ألوان الإعجاز القرآنيّ نكتشفه مع هذا التّناسق بين المقاطع ومعانيها.

نكتشف هذا التّوزيع للمقاطع الصّوتيّة، واستخدامها المتناسق، وترتيبها الّذي ينمّ عن إعجاز إلهيّ من خلال بعض النّصوص القرآنيّة الموضّحة لدلالة المقاطع المكوّنة منها،

---

(1)-المنهج الصّوتيّ للبنيّة العربيّة: رؤيّة جديدة في الصّرف العربيّ، د. عبد الصّبور شاهين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، د ط، 1400هـ – 1980م، ص: 38.

(2)- نظريّة إيقاع الشّعر العربيّ، محمّد العياشيّ، المطبعة العصريّة، تونس، ص: 58، نقلا عن: التّناسب البيانيّ في القرآن، أحمد أبو زيد، ص: 314.

(3)- لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، د. محمود أحمد نحله، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1981م، ص: 357.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾البقرة: الآية: ٤. قبل أن نتطرّق إلى الكتابة المقطعيّة للآية، نقف على معناها من خلال تفسيرها، «قال ابن عبّاس: أيّ يصدّقون بما جئت به من الله، وما جاء به من قبلك من المرسلين؛ لا يفرّقون بينهم، ولا يجحدون ما جاؤوا به من ربّهم، (...) وهي الصّفة اللاّئقة بالأمّة المسلمة؛ وارثة العقائد السّماويّة، ووارثة النّبوّات منذ فجر البشريّة، والآخرة (...) سمّيت بذلك لأنّها متأخّرة عن الدّنيا، وقد قيل للدّنيا دنيا لأنّها أدنى من الآخرة، والإيقان هو إتقان العلم بانتفاء الشّكّ والشّبهة عنه، (...) ووصف الله أولئك المتّقين بالإيمان بالوحيّ، واليقين بالبعث والقيامة والجنّة والنّار والحساب والميزان والحشر، وكلّ ما أخبر الله ورسوله عن أمر الآخرة؛ فهم مصدّقون به، ومعتقدون بحصوله يدينون الله بالإيمان به.»[1] إنّ الموضوع الإجماليّ الّذي تحمله الآية الكريمة هو قضيّة الإيمان: الإيمان بما أنزل من قرآن كريم وكتب قبله، وهي وصف لحال المؤمنين الموقنين؛ الّذين لا يداخلهم الشّكّ البتّة في وقوع الآخرة.

و لْ / لَ / ذ ي / ن = ص ح ص / ص ح / ص ح ح/ ص ح.

ي ؤ/ م / ن و/ ن = ص ح ص / ص ح / ص ح ح/ ص ح.

ب / م ا = ص ح / ص ح ح.

أ ن / ز ل = ص ح ص/ ص ح / ص ح.

إ / ل ي / ك = ص ح / ص ح ص / ص ح.

و / م ا = ص ح / ص ح ح.

أ ن / ز / ل = ص ح ص / ص ح / ص ح.

م ن = ص ح ص.

ق ب / ل / ك = ص ح ص/ ص ح / ص ح.

و / ب ل / أ ا /خ / ر / ة = ص ح / ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح / ص ح/ ص ح.

ه م = ص ح ص.

ي و / ق / ن و ن = ص ح ح/ ص ح/ ص ح ح ص.

---

(1)- التّفسير المأمون على منهج التّنزيل والصّحيح المسنون، تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين الوحيين: القرآن والسّنّة الصّحيحة على فهم الصّحابة والتّابعين، تفسير منهجيّ فقهيّ شامل معاصر، د. مأمون حمّوش، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1428هـ – 2007م، ج 01، ص: 108.

احتوت الآية على خمسة وثلاثين مقطعا؛ موزّعة بالشّكل التّالي:

1- **المقطع القصير** = ص ح تسع عشرة مرّة.
2- **المقطع المتوسّط المفتوح** = ص ح ح ستّ مرّات.
3- **المقطع المتوسّط المغلق** = ص ح ص تسع مرّات.
4- **المقطع الطّويل المفرد الإغلاق** = ص ح ح ص مرّة واحدة.
5- **المقطع الطّويل المزدوج الإغلاق** = ص ح ص ص غير موجود.
6- **المقطع المديد** = ص ح ص ص غير موجود كذلك.

أوّل ما يلاحظ على التّقطيع هو كثرة عدد المقاطع القصيرة عن غيرها من الأنواع الأخرى، وهو ما تميل إليه اللّغة العربيّة في بنائها، وذلك أنّ المقطع القصير أكثر رشاقة وخفّة، ويبعد الملل والسّأم على المتلقّي أثناء الاستماع للتّلاوة، أمّا بالنّسبة للقارئ؛ فهي تعطيه راحة، وأخذ نفس أثناء القراءة؛ خاصّة مع السّور الطّويلة[1]. أمّا النّوع الرّابع فذكر مرّة واحدة والنّوع الخامس والسّادس لم يذكرا، وهو ما أقرّه إبراهيم أنيس عندما قال: «والنّوع الرّابع والخامس من المقاطع في اللّغة العربيّة محدودة الاستعمال لا نراه إلاّ متطرّفا، وفي بعض حالات الوقف، أمّا الأنواع الثّلاثة الأولى فهي الّتي يتكوّن منها نسج الكلمة العربيّة في الكلام المتّصل، وقد تقع تلك الأنواع الثّلاثة في أوّل الكلمة أو وسطها أو آخرها؛ فليس منها ما يختصّ بموضع ما من الكلمة.»[2] ويمكن التّأكّد من هذه الملاحظة العلميّة من خلال تقطيع عدد من الآيات الكريمات للسّور الطّويلة؛ الّتي تظهر كثرة المقاطع القصيرة عن غيرها من المقاطع، وهذا لا يعني انعدام بقيّة المقاطع؛ ولكنّها واردة بنسب متفاوتة، والقليلة منها هي المقاطع المديدة الّتي لا تناسب طول السّور.

ولقد جاء القرآن الكريم في سوره وآياته؛ ليتوافق مع لغة العرب ولسانهم، إذن فتكرار المقطع القصير هو موافقة لنظام اللّغة العربيّة، وفي الوقت نفسه لا يشعر القارئ بأيّة صعوبة عند تلاوته. هذا بالإضافة إلى أنّ السّور القرآنيّة الطّويلة؛ تتميّز بكونها تحمل العديد من الشّرائع والأحكام والمعاملات[3].

---

(1)- ينظر: الأنماط المقطعيّة في اللّغة العربيّة، عصام أبو سليم، ص: 194.

(2)- الأصوات اللّغويّة، ص: 94.

(3)- ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ج 01، ص: 206.

إنّ توظيف المقاطع المفتوحة والمديدة في الخطاب القرآنيّ له دلالات عديدة؛ بحيث يحمل معنى التّهديد بما ينتظر الإنسان يوم القيامة من حساب، أو التّنبيه عن الغفلة أيّ غفلة الإنسان عن عبادة ربّه، ممّا قد يؤدّي إلى الحسرة والنّدم ساعة لا ينفع النّدم، أو الدّعوة إلى الخير حتّى يعود إلى رشده، ويهتدي إلى الطّريق المستقيم، وفي الآية السّادسة من سورة الانشقاق المذكورة آنفا؛ تعبير من الخطاب القرآنيّ بالمقاطع الصّوتيّة المديدة المفتوحة؛ جمعت كلّ هذه المعاني معبّرة عنها أصدق تعبير؛ ويستدعي هذا النّوع من المقاطع مدّ الصّوت أثناء التّلاوة، «وهذا الامتداد في النّطق يناسب التّعبير عن الامتداد في الزّمن الّذي يستغرقه الإنسان في الكدح، والجدّ في الكسب؛، وكأنّ المراد في استخدام المقاطع أن يشارك الإيقاع الصّوتيّ للآية في أداء المعنى، وبعث الإحساس لدى المخاطب؛ بأنّه مهما طال الزّمن، ومهما بذل من مجهود فلا بدّ من لقاء ربّه.»[1] هكذا يعبّر القرآن الكريم في خطابه للإنسان المؤمن وغير المؤمن عن المعاني بما يناسبها من مقاطع صوتيّة لها وقعها المؤثّر لذوي الألباب.

الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ(3) القارعة: ١ – ٣، يقصد بها السّاعة الّتي تقرع قلوب النّاس بأهوالها، أيّ شيء هذه القارعة؟ وأيّ شيء أعلمك بها؟ «قال الجمهور: القارعة: القيامة نفسها؛ لأنّه تفزع القلوب بهولها (...) وتقرع الأسماع (...) وقرئت بالرّفع، فـ «ما» استفهام؛ فيه معنى الاستعظام والتّعجّب، (...) وقال الزّجاج: هو تحذير، والعرب تحذّر وتغري بالرّفع كالنّصب؛»[2] فالقارعة أمر عظيم وفظيع ومهوّل؛ لا يمكن لخيال المرء إدراكه، ولا يبلغه فكره؛ نظرا لعظمتها الّتي يستحيل معها وصفها. «قال القاسميّ: تأكيد لهولها وفظاعتها؛ ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أنّ عِظَمَ شأنها ومدى شدّتها؛ بحيث لا تكاد تناله دراية أحد؛ حتّى يدريك بها.»[3] وإذا ما أردنا ربط هذا المعنى الّذي تحمله الآيات الكريمات؛ بما يتناسب والمقاطع المكوّنة لها؛ نكتبها أوّلا كتابة مقطعيّة؛ وتكون كالآتي:

ا لْ / قا / ر / ع / ة / = ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح / ص ح.

---

(1)- التّناسب البيانيّ في القرآن، أحمد أبو زيد، ص: 359.

(2)-تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسيّ، دراسة وتحقيق وتعليق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ محمّد معوّض، قرظه: د. عبد الحيّ القرماديّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ – 1993م، ج 08، ص: 503.

(3)- تفسير المأمون، مأمون حمّوش، ج 08، ص: 534.

م ل / قا / ر/ ع / ة / = ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح / ص ح.
و/ ما/ أد / را / ك / م ل / قا / ر/ ع / ة / = ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح.

إنّ عدد المقاطع المكوّنة للآيات؛ هي: عشرون مقطعا؛ أغلبها مفتوحة سواء القصيرة أو الطّويلة، وتعدادها ستة عشر مقطعا، والباقي أربعة مقاطع مقفلة، وهي: **/ ا ل / م ل / أ د / م ل/**، فإنّ كثرة المقاطع المفتوحة مدعاة إلى التّأمّل في هول هذا اليوم، وتصوّر مدى ما يحمله من فزع وهلع[1]؛ فالمجال مفتوح أمام الإنسان لتخيّل هذا اليوم الموعود؛ إن استطاع فكره وخياله من رسم صورته، ويزيد من هوله، وضرورة الخوف منه والتّحضير له؛ تكرار صوت القاف والعين في الآيات، وجرسهما القويّ على الأسماع، لما يمتازان به من الجهر والشّدّة، «فاختيار كلمة تحوي القاف والعين، وهما حرفان قويّان في المخرج والصّفة، وتكرار الكلمة ثلاث مرّات فيه دلالة تضاف إلى المدلول المعنويّ المستفاد من الوظيفة اللّغويّة للكلمة.»[2] وكذا تكرار أداء صوت الرّاء فيه إيحاء إلى معنى الهول.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. الفلق: ١. يستهل المولى -عزّ وجلّ- الآية الكريمة بأمر نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- «والمراد جميع أمّته، ومعناه قل يا محمّد اعتصم، وامتنع بربّ الصّبح، وخالقه ومدبّره ومطلعه متى شاء؛ على ما يرى من الصّلاح فيه «من شرّ ما خلق» من الجنّ والإنس وسائر الحيوانات، وإنّما سمّي الصّبح فلقا لانفلاق عموده بالضّياء من الظّلام.»[3] والعوذ هو «الالتجاء إلى الشّيء، ثمّ يُحْمَل عليه كلّ شيء لصق أو لازمه، قال

---

(1)- ويتوهّم من لديه معرفة قليلة أنّ القرآن قد خالف بذلك الفصاحة في اختيار كلمات احتوت على حروف متكرّرة، وهو غافل عن إدراك أهميّة ذلك في إحداث التّوافق بين الإيقاع والمعنى. – جماليّة الخطاب في النّصّ القرآنيّ: قراءة تحليليّة في مظاهر الرّؤية وآليّات التّكوين، د. لطفيّ فكريّ محمّد الجودى، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1435هـ – 2014م، ص:176.

(2)- ينظر: خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، عبّاس حسن، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، د ط، 1998م، ص: 142.

(3)- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، دار المرتضى، طباعة، نشر، توزيع، بيروت، ط1، 1427هـ – 2006م ، ج 10، ص: 378.

الخليل: تقول أعوذ بالله – جلّ ثناؤه – أيّ ألجأ إليه تبارك وتعالى.»[1] إنّ الآية الكريمة فيها أمر من الله تعالى للرّسول الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- وأمّته أن يلتجئوا إليه تبارك وتعالى؛ خالق الصّبح ومطلعه، وذلك من كلّ شيء خلقه.

ق ل = ص ح ص.

أ / ع و / ذ = ص ح / ص ح ح / ص ح.

ب / رب / ب ل / ف / ل ق = ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ص.

تبدأ الآية الكريمة بصوت «القاف» الّذي يمتاز بالجهر والشّدّة، وجمعها لهاتين الصّفتين اللّتين تحملهما؛ تدلّ على الدّعوة بطلب الإعاذة، وذلك بصوت قويّ ونبر عال، وعلى العباد أن يمتثلوا للأمر، ويقولوه جهرا[2]، وبيقين أنّ الله تعالى يحفظهم من كلّ شرّ، ويحميهم من كلّ أذى.

ويلي صوت «القاف» صوت «اللّام» السّاكن، وفي سكونها بروز شديد للصّوت، يشعر بسكون النّفس، وراحتها وهدوئها الّذي يتحقّق بعد التّلفّظ بالإعاذة؛ فالنّفس في مناجاة ربّها ودعائها تهدأ، وتشعر بالرّاحة والاطمئنان من وحشة اللّيل وظلمته؛ فهي تحتاج إلى من يهدّئ من روعها، ويرفع عنها العذاب والرّعب، وما تعانيه وتقاسيه من قلق وخوف وألم، وكأنّها قد هيئت واستعدّت لتقبّل أمر الله – جلّ جلاله – وهو الاستعاذة من كلّ ما خلق[3].

إنّ ما قد يشعر به المسلم من خوف؛ يزول بمجرّد التجائه إلى الله؛ لهذا نلاحظ أنّ «قل» المؤلّفة من: /ص ح ص/ أيّ مقطع متوسّط مغلق؛ للدّلالة على ما يشعر به الإنسان من عدم اطمئنان؛ ليأتي السّكون والرّاحة من خلال كلمة «أعوذ» المكوّنة من: /ص ح / ص ح ح / ص ح/، وهي مقاطع متنوّعة قصيرة وطويلة كلّها مفتوحة، وذلك للدّلالة على لحظة الفرج الّتي سيعيشها المرء عندما يستنجد بالله تعالى بقلب منيب، وتأتي بعدها عبارة «□

(1)-معجم مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السّلام هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ج 04، ص: 174.

(2)- ينظر: خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، حسن عبّاس، ص: 142.

(3)- ينظر: تفسير القرآن، الإمام أبو المظفّر السّمعانيّ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرّياض، ط1، 1418هـ – 1997م، ج 06، ص: 307.

□»[1] المكوّنة من: /ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ص /، و«تعليق العياذ باسم الرّبّ المضاف إلى الفلق المُنْبِئِ عن النّور عقيب الظّلمة، والسّعة بعد الضّيق، والفتق بعد الرّتق عُدّة كريمة؛ بإعاذة العائذ ممّا يعوذ منه، وإلجائه منه وتقويّة لرجائه بتذكير بعض نظائره، ومزيد ترغيب له في الجدّ والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه -عزّ وجلّ-[2]«.

إنّ هذا التّنوّع في المقاطع الصّوتيّة بين المنغلقة والمنفتحة ليس اعتباطا، فالفلق الّذي هو «الصّبح ، واللّيل شُبِّهَ بشيء مغلق ينفلق عن الصّبح، وحقيقة الفلق: الانشقاق عن باطن شيء، واستعير لظهور الصّبح بعد ظلمة اللّيل، وهذا مثل استعارة الإخراج لظهور النّور بعد الظّلام.»[3] وذلك للدّلالة على الحالة النّفسيّة الّتي يكون عليها المسلم، فقد يعيش الخوف ثمّ الأمن، وقد يحسّ بالقلق ثمّ الاطمئنان، وقد يكون في الظّلام فيأتي النّور، فهي حالات نفسيّة يعيشها بين انغلاق وَضْعٍ وصعوبته؛ فيه خوف وقلق وظلمة، إلى انفتاح وَضْعٍ وسهولته؛ فيه اطمئنان وأمن ونور. لهذا نلاحظ أنّ المقاطع الصّوتيّة في الآية الكريمة تبدأ بالانغلاق، وتنتهي بالانفتاح.

والقرآن الكريم الّذي نزل بلغة العرب؛ «قد استخدم المقاطع المقفلة الّتي تنتهي بالسّكون الحيّ الجازم في مقامات الجدّ والصّرامة والحسم، وفي تصوير الانفعالات الحادّة، والحركات العنيفة، وسرعة الأحداث.»[4] ويرى محمّد نحلة أنّ اللّغة العربيّة تميل إلى استخدام المقاطع المقفلة؛ يقول في هذا الصّدد: «اللّغة العربيّة –كغيرها من اللّغات- تتركّب فيها الكلمات من مقاطع، وإن كانت أميل إلى المقاطع المقفلة، ويقلّ فيها توالي المقاطع

(1)- الفلق يؤدّي معنى النّور من الوجهة الذّهنيّة؛ ثمّ يتّسق مع الجوّ العامّ من الوجهة التّصويريّة، وهو مرحلة قبل سطوع النّور؛ تجمع بين النّور والظّلمة، ولها جوّها الغامض المسحور. – التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم، سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط16، 1433هـ - 2002م، ص: 116.

(2)- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، العلامة أبو الفضل السّيّد محمد الآلوسيّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط 04، د ت، ج 30، ص: 279 - 280.

(3)-تفسير التّحرير والتّنوير، الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، ج 30، ص: 626.

(4)- التّناسب البيانيّ في القرآن، أحمد أبو زيد، ص: 321.

المفتوحة، وبخاصّة حين تشتمل على صوائت قصيرة.»[1] وقد تنبّه علماء الأصوات أنّ المقاطع المقفلة في القرآن الكريم تدلّ على القوّة والصّرامة وسرعة الزّمن.

يمكن التّمثيل لذلك بما ورد في قوله تعالى: قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (32) يوسف: ٣٢، أوجدت زوجة العزيز لنفسها عذرا عندما أكبرت النّسوة جمال يوسف – عليه السّلام – لمّا ظهر أمامهنّ؛ لدرجة أنّهنّ وصفنه بالملاك؛ لترفع عنها ما عيّرنها به؛ لكونها كانت شديدة الشّغف به، «فأقرّت بذلك، وصرّحت بما وقع منها من المراودة له، ولكن استعفّ وامتنع ممّا أريده طالبا لعصمة نفسه عن ذلك؛ ثمّ توعّدته إن لم يفعل ما تريده كاشفة لجلباب الحياء، هاتكة لسرّ العفاف لئن لن يفعل ما قد أمرته فيما تقدّم ذكره؛ يعتقل في السّجن، ويكون من الأذلاء لما يناله من الإهانة.»[2] أمام هذا الإغراء؛ وظفّت امرأة العزيز كلمتين تدلاّن على الشّدّة والصّلابة؛ وهما قولها: «بن - تر □»، وتقرأ الآية الكريمة بوقف جائز على «بن» أيّ: فَاسْتَعْصَمْ، وتحديد مقاطعها يكون بإثبات المنطوق دون المكتوب:

فَاسْتَعْصَمْ = / فَ سْ / تَ عْ / صَ مْ /

/ ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص /

لَمْ يَفْعَلْ = / لَ مْ / يَ فْ / عَ لْ /

/ ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص /

أوّل ما يلاحظ على المقاطع الّتي تكوّنت منها الكلمات: «فَاسْتَعْصَمْ –لَمْ يَفْعَلْ»؛ أنّها مقاطع قصيرة ومقفلة؛ «فَاسْتَعْصَمْ» بيّنت من خلالها زوجة العزيز صرامة يوسف – عليه السّلام – وتمنّعه، وهو فعل مزيد بهمزة الوصل والسّين والتّاء، وأصله «عَصَمَ»، ومادّة «العين والصّاد والميم» معناها في معجم مقاييس اللّغة: «أصل واحد يدلّ على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كلّه واحد، من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى، إذا امتنع. واستعصم: التجأ. وتقول

(1)- دراسات قرآنيّة في جزء عمّ، محمود نحلة، ص: 169.

(2)-فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، الإمام الشّوكانيّ محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد الله الصّنعانيّ، دار النّوادر، الكويت، د ط، 1431هـ – 2010م، ج 03، ص: 23.

العرب: أعصمت فلانا، أيّ: هيّأت له شيئا يعتصم بما نالته يده، أيّ يلتجئ ويتمسّك به.»[1] من خلال هذا التّعريف المعجميّ نستخلص دلالتين لكلمة «عَصَمَ» وهما: القوّة والتّقوى، الأولى ظهرت في التّمنّع، والثّانية في توخي عدم الوقوع في السّوء.

وعلى الرّغم من أنّ المفسّرين اختلفوا كثيرا فيما تفيده كلمة استعصم؛ فبعضهم رأى أنّها تفيد الطّلب، أيّ: طلب الاعتصام[2]، لأنّ النّحويّين يرون أنّ همزة الوصل والسّين والتّاء الّتي تسبق الفعل تفيد الطّلب، أو أنّها تفيد مبالغة في عصم نفسه من الوقوع في الخطيئة[3]، فإنّ اللّفظة الصّادرة عن امرأة العزيز لها جانبان: الأوّل تبرئة ذمّة يوسف – عليه السّلام -، والثّاني: شدّة إصرارها في طلب الرّذيلة، فتوافقت المقاطع المقفلة مع هذه الشّدّة والإصرار من كلاّ الطّرفين، الإصرار على التّمنّع من جهة يوسف – عليه السّلام -، والإصرار على فعل الفاحشة من جهة امرأة العزيز.

نلاحظ في توظيف القرآن الكريم لعبارة «تر □» تصريح بالمراودة وإصرار على الفاحشة؛ غير أنّ الخطاب القرآنيّ في مثل هذه المواقف ينتقي الألفاظ المهذّبة؛ لأنّ قلّة الحياء والجهر بها تتنافى مع أوامر الشّريعة الإسلاميّة، يقول أحمد ياسوف موضّحا ذلك: «ويتّضح طابع التّهذيب والسّموّ في الاكتفاء بظلال كلمة «□» وكلمة « تن » بهاتين الكلمتين تمّ التّعبير عن شهوة عارمة، وهذا يتمشّى وطابع الدّين الإسلاميّ الّذي يدعو إلى تهذيب الغرائز وتوجيهها، والحدّ من فاعليّتها، وليس قتلها، وكذلك يكمن هدف القصّة القرآنيّة في الموعظة والاعتبار، ولا حاجة لتصوير يخدم الفنّ لأجل الفنّ.»[4] أمّا ازدياد عنادها وإلحاحها بلفظها: «بي تر □.» فإنّه ينمّ عن الشّموخ والعظمة، وإظهار الفوقيّة. ولهذا نجد

---

(1)- ابن فارس، ج 04، مادّة: عصم.

(2)- الاستعصام: التّحفّظ الشّديد؛ كأنّه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها، ونحوه: استمسك واستوسع الفتق، واستجمع الرّأي، واستفحل الخطب. - الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، العلّامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ، تحقيق وتعليق ودراسة: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ محمّد معوّض، بمشاركة: د. فتحيّ عبد الرّحمن أحمد حجازيّ، النّاشر: مكتبة العبيكان، الرّياض، ط1، 1417هـ – 1998م، ج 03، ص: 281 .

(3) – ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ج 12، ص: 264 .

(4) – جماليات المفردة القرآنيّة، دار المكتبيّ، دمشق، ط2، 1419هـ - 1999م، ص: 259.

هذا التّناسب الموظّف في القرآن الكريم بين الدّلالات وبين المقاطع المقفلة الّتي تتكوّن منها الكلمات.

الخاتمة:

- دراسة المقطع ودلالته في الخطاب القرآنيّ؛ يمكّننا من إدراك التّناسب الصّوتيّ في القرآن الكريم مع ما يحمله من أفكار.

- كلّ نوع من المقاطع مفتوحة كانت أو مقفلة، قصيرة كانت أو طويلة أو مديدة في الطّول؛ لها دورها في التّعبير عمّا يلائم المعاني والدّلالات الواردة في الخطاب الرّبانيّ، ممّا يؤدّي إلى التّأثّر به عند سماعه، ومعرفة سرّ من أسرار إعجازه.

قائمة المصادروالمراجع:

1 – الكتب :

1 - أثر القوانين الصّوتيّة في بناء الكلمة العربيّة، د. فوزيّ الشّايب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1425هـ- 2004م.

2 - أدوات الوصف والتّفسير اللّسانيّة، عبد العزيز العماريّ، دار النّشر: المغرب، ط1، 2004م.

3 - أساليب تدريس اللّغة العربيّة بين المهارة والصّعوبة، د. فهد خليل زايد، دار اليازوريّ العلميّة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، د ط، 2006م.

4 - الأصوات اللّغويّة، د. إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت.

5 - إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة، محمّد شملول، تقديم: د. عليّ جمعة محمّد، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، ط1، 1427هـ – 2006م.

6 - التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم، سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط16، 1433هـ - 2002م.

7 - التّناسب البيانيّ في القرآن، دراسة في النّظم المعنويّ والصّوتيّ، د. أحمد أبو زيد، الطّبع: مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، د ط، 1992م.

8 - جماليّة الخطاب في النّصّ القرآنيّ: قراءة تحليليّة في مظاهر الرّؤية وآليّات التّكوين، د. لطفيّ فكريّ محمّد الجودى، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1435هـ – 2014م.

9 - جماليّات المفردة القرآنيّة، دار المكتبيّ، دمشق، ط2، 1419هـ - 1999م.

10 - خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، عبّاس حسن، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، د ط، 1998م.

11 - الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد، د. غانم قدّوريّ الحمد، دار عمّار، عمّان، ط1، 1434هـ - 2003م.

12 - دروس في علم الأصوات، جان كانتينو، ترجمة: د. صالح القرماديّ، مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس، د ط، 1966م.

13 - عناصر الإبداع الفنيّ في شعر أحمد مطر، كمال أحمد غنيم، مكتبة مدبوليّ، القاهرة، ط1، 1998م.

14 - الكلمة - دراسة لغويّة ومعجميّة- د. حلميّ خليل، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، ط1، 1998م.

15- كيف تجوّد القرآن العظيم، أوضح البيان في أحكام تلاوة القرآن، أ. محمّد محمود عبد الله، النّاشر: مكتبة القدسيّ للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ – 1996م.

16 - لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، د. محمود أحمد نحله، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1981م.

17 - المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة، د. عبد العزيز الصّيغ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ – 2000م.

18- المنهج الصّوتيّ للبنيّة العربيّة: رؤيّة جديدة في الصّرف العربيّ، د. عبد الصّبور شاهين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، د ط، 1400هـ – 1980م.

19 - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزّرقانيّ، المطبعة الفنّيّة، القاهرة، د ط، د ت.

20 - موسيقى الشّعر العربيّ، د. إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط4، 1976م.

2– الدّوريات:

21 - الأنماط المقطعيّة في اللّغة العربيّة -دراسة كميّة- عصام أبو سليم، المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، الصّادرة عن مجلس النّشر العلميّ، الكويت، المجلّد 09، العدد 36، يناير 1989م.